المحاضرة الثالثة عشر

8) التواضع :

التواضع صفة محمودة وسبيل لنيل رضا الله سبحانه وتعالى، وقد جعل الله سبحانه وتعالى سنّة جارية في خلقه أن يرفع المتواضعين لجلاله، وأن يذل المتكبرين المتجبرين، قال رسول الله ( صلى الله عليه واله وسلم ) : « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبد بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» . أمّا الذي يسلك مسلك المتكبّرين، فقد باء بشؤم العاقبة ؛ يقول الله عزّ وجل: { فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } .

معنى التواضع: التواضع في اللغة هو التذلل، والتواضع عند علماء الأخلاق هو لين الجانب والبُعد عن الاغترار بالنفس؛ حيث قالوا إنّ التواضع هو اللين مع الخلق والخضوع للحق وخفض الجناح.

التواضع في القرآن الكريم: لم ترد كلمة التواضع بلفظها في القرآن الكريم، إنّما وردت كلمات تشير إليها وتدل عليها؛ قال الله تعالى: { وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا }. قال القرطبي (هوناً) الهون مصدر الهين، وهو من السكينة والوقار . وفي التفسير يمشون على الأرض حُلماء متواضعين يمشون في اقتصاد. كما قال اهل التفسير : أي بسكينة ووقار من غير تجبُّر ولا استكبار، لقول الله تعالى: { وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} ، قال القرطبي هذا نَهي عن الخيلاء وأمر بالتواضع، والمرح شدة الفرح وقيل التكبر في المشي، وقيل تجاوز الإنسان قدره. وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنّه خرج على قومه في زينته وأنّ الله تعالى خسف به وبداره الأرض .